

صاحب الجلالة الملك يوجه خطاباً إلى الأمة

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

مما لاشك فيه أنك تتساءل عن الدواعي أو الأسباب التي جعلتنا نخاطبك اليوم، وتساؤلك في محله، لأننا لا نتوجه إليك إلا إذا كان وقع من الأحداث أو من الوقائع ما يستأثر باهتمامنا، بل ما يجب أن نتذاكر حوله أنت وأنا، وأن نفتح الحوار بشأنه حتى نصل إلى النتيجة الحتمية، وحتى تكون مواقفنا واضحة ومتحدة.

وفي مساء البارحة، وقبل أن نتناول طعام العشاء، توصلنا ببرقية أرسلها إلينا خديمنا الأرضى السيد أحمد ابن سودة مستشارنا من الجزائر، حيث كان يترأس الوفد المغربي الذي كان يتألف كما تعلم من وفد حكومي، ووفد عن البرلمان، ووفد عن الهيآت السياسية، وممثلين عن الحركة المساندة أو المدافعة أو المحبة أو المتقربة إلى الفلسطينيين، وقد جئتك بهذه التفاصيل لما ستعلمه من بعد، ولكن في الحقيقة كان الوفد وفداً واحداً وموحداً.

وحتى لا نطيل عليك أقرأ عليك ما جاءنا في البرقية، وهي بالفرنسية حيث انها جاءت مشفرة، وبكيفية تقنية خاصة، ولكن مع الأسف لم نتوصل إلى حد الآن في العالم العربي على ما أعلم إلى اتقان هذه الشفرات، وسأحاول أن أترجم لك ما جاء في هذه البرقية.

يقول السيد أحمد بن سودة :

لي عظيم الشرف أن أنهي إلى العلم السامي ما يلي :

بمجرد وصولي إلى مطار الجزائر اثرت انتباه المسيرين الفلسطينيين الذين كانوا في استقبالنا إلى أن الوفد المغربي لن يقبل بأي حال من الأحوال حضور المرتزقة في المؤتمر، وقد أعطانا الوفد ــ الذي كان في انتظارنا في المطار ــ ضمانات مدققة، وأضافوا ان إدارة الشؤون الفلسطينية برئاسة الرئيس ياسر عرفات قد تداولت هذه القضية أي حضور المرتزقة، واتخذت في شأنها قراراً بصفة نهائية حتى لا يرسل إلى هؤلاء المرتزقة أي استدعاء.

وفعلا، ففي القسم الأول من الجلسة الافتتاحية وذلك بحضور فخامة الرئيس السيد الشاذلي بنجديد وأعضاء حكومته لم يقع ما يثير الانتباه.

وبعد ذلك رفع رئيس المؤتمر ألا وهو السيد ياسر عرفات الجلسة حتى يتمكن من مرافقة فخامة الرئيس الشاذلي ومن معه حين غادروا قاعة المداولات.

وبعدما استؤنفت الجلسة أتى المرتزق عبد العزيز ــ كما جاء في البرقية، وأنا سأسميه من الآن فصاعدا عبد العزيز المراكشي ــ إلى القاعة متبوعاً ومحفوفاً بطاقم مهم من ممثلي التلفزة والاذاعة، وبعدما عانق السيد ياسر عرفات أخذ مقعده عن يسار هذا الأخير في الصف الأول.

وأمام هذا الحادث ــ تقول البرقية ــ غادرت القاعة متبوعاً وبمعيتي جميع أعضاء الوفد المغربي، وبمجرد

ما غادرنا هذه القاعة التحق بنا أعضاء من المجلس التنفيذي لمنظمة التحرير الفلسطينية، يمكن أن أذكر أسماءهم هنا للتاريخ وهم : أبو السعيد، وأبو جهاد والدجاني وأبو مروان، وآخرون التحقوا بنا وأبدوا أسفهم الشديد وحزنهم العميق على ما حدث، وأكدوا لنا أنهم لم يرسلوا أي استدعاء للمرتزقة، وانهم وضعوا أمام الأمر الواقع من طرف الجزائر.

إن كل ما أقرأه عليكم هو النص ــ وتضيف البرقية ــ وقد أكد المسؤولون الفلسطينيون وبالحاح لنرجع وليرجع الوفد إلى قاعة المداولات.

وفي هذا الصدد وقبل أن نتراجع عن موقفنا، طالبت الفلسطينيين حتى يظهروا لنا حسن نيتهم أن ينشروا بلاغاً أو بياناً يؤكدون فيه ويضعون فيه النقط على الحروف على أنهم لم يرسلوا أي استدعاء للمرتزقة من طرف منظمة التحرير الفلسطينية، وبعد مغادرتنا أعطيت الكلمة إلى عبد العزيز المراكشي، وهذا هو أقسى ما وقع، والذي دقق يرى ذلك أنه حضر هذه الجلسة ــ جلسة البرلمان الوطني الفلسطيني ــ باستدعاء من منظمة التحرير الفلسطينية قال هذا في خطابه، وزاد وقال من جملة ما قال : إننا نعاني يا إخواننا الفلسطينيين ما تعانون أنتم في اسرائيل.

تقول البرقية : إن أعضاء الوفد المغربي وأنا شخصياً نتقدم إلى جلالتكم بعبارات الولاء الدائم والاخلاص العميق.

الامضاء : **أحمد بن سودة**

المهم هو أنه سُمع ــ في جلسة علنية وفي محفل دولي ــ كلام يمس بالكرامة المغربية وبالشرف المغربي، وجاء ذلك على لسان عبد العزيز المراكشي ازدياداً لأنه ولد في مراكش سنة 1947 أيام الحماية الفرنسية والذي يوجد والده الآن متقاعدا، وكان جندياً في صفوف القوات المسلحة الملكية ولايزال على قيد الحياة في قصبة تادلة.

جاءت كلمات نابية في حق المغرب أمام وفود دولية متعددة الأطراف، وجاءت تضع المغرب واسرائيل على حد سواء في ممارسة التعذيب والتنكيل بالشعب الصحراوي الذي يمثله هذا المراكشي.

حقيقة يجب علينا هنا أن نتساءل : لماذا استدعينا ؟ ولماذا وجه المسؤولون عن منظمة التحرير الفلسطينية الدعوة إلى المغرب ؟ إذا كانوا قد قرروا اسماع المغرب ما سمعه، أو إذا هم غلبوا على أمرهم في آخر ساعة. فأنا أتساءل : هل هم رجال الحل والعقد ؟ هل هم الذين يجالسون الملوك والرؤساء ؟ وهل هم الذين يجلسون حول مائدة القمة ؟ هل هم المنتظر منهم الالتزام والوفاء بالالتزام لأنهم ادعوا كاذبين انهم لا يخضعون للضغط الذي يمارس عليهم في آخر ساعة !

من عادتي أن لا أكون قاسياً ومن عادتي أن أزن الكلمات وسأبقى أزن الكلمات، ولكن من واجبي أن أدافع عن شرف بلدي وأن أدافع عن سمعته، وأن لا أقبل أن يقال رسمياً من متكلم كيفما كان وهو جالس عن يسار رئيس الجلسات، ان المغرب في الصحراء واسرائيل في فلسطين.

طيب، ما وقع قد وقع، ولكن ستترتب عن هذا مسائل ربما لا تحمد عقباها ليس بالنسبة للمغرب وإنما بالنسبة للفلسطينيين أنفسهم.

لا يوجد في الساحة العربية نسبياً ــ وسأقول لكم لماذا نسبيا ــ من اسدى الخير والمعروف لمنظمة التحرير

الفلسطينية كما فعله المغرب، والسبب في ذلك هو اننا أبعد الناس جغرافياً عنهم، ثم نحن غير مدخولين كما هو الشأن بالنسبة لبعض الدول بطوائف فلسطينية تملك ادارتهم وأموالهم وتسير شؤونهم، فليس لنا أستاذ فلسطيني ولا محاسب فلسطيني ولا مهندس فلسطيني حتى يمكن أن يقال : إن عملنا ليس عمل فضيلة إنما هو عمل انتهازي، نحن نزهاء جغرافيا ووطنيا.

ثانيا : بالنسبة لعدد سكاننا ومداخيلنا نحن الذين نعطي أكبر مساعدة لمنظمة التحرير الفلسطينية، فالجزائر بها 23 مليون نسمة مثل المغرب، ولكن لها الغاز والبترول كانت تأخذ ملايير الدولارات، والدول العربية الأخرى كان دخلها ومازال مهماً، وتلك الدول العربية إما مجاورة للأرض الفلسطينية المحتلة وإما استوطنها عدد كبير من الفلسطينيين، ولهذا أقول نسبياً بالأرقام، إنه ليس هنالك دولة عربية قدمت الخير المادي للشعب الفلسطيني مثل ما قدمه المغرب.

هذا من حيث الدعم المادي، أما من حيث الدعم المعنوي، فلم يسمع لمنظمة التحرير الفلسطينية كلام رسمي على منصة دولية قبل مؤتمر القمة الاسلامي المنعقد سنة 1969 بالرباط، وآنذاك أذكر أن أبا يوسف — على ما أظن — رحمة الله عليه — وأبا السعيد كانا ممثلين لمنظمة التحرير الفلسطينية، فطلبا أخذ الكلمة ومنحا صفة ملاحظ.

وكانت إذ ذاك عدة دول إسلامية لم يكن بينها وبين الفلسطينيين أية صلة سياسية ولا سلالية، بل كانت منها من يأخذ بعض الحيطة منهم، ومازلت أذكر وهذا واقع انني وقفت بصفتي رئيس المؤتمر ورئيس الجلسة وناشدت إخواني الملوك والرؤساء وكان من جملة المتشددين آنذاك شاه ايران، وقلت لهم انكم تعرفون مقام الضيف عند المسلمين، «فلا تخزوني في ضيفي» قلتها بهذا اللفظ : اقبلوا أن يتكلموا ثم إذا تكلموا واقنعوا فأرجوكم أن تقبلوهم بصفة ملاحظ، إذ ذاك قبل الجميع، وما استطاع أحد من الحاضرين أن يرد علي بلا، وذلك ليس احتراماً للفلسطينيين ولا احتراماً للأشخاص الذين كانوا موجودين، فهم لا يعرفونهم، لأنهم دول اسلامية وليسوا دولا عربية، بل احتراماً للمغرب الذي كانوا فيه وشعروا فيه بالروح الاسلامية، ووجدوا في كلمات ملك المغرب الاخلاص، وشعروا انه ينطق من الأعماق.

فألقى أبو السعيد أو خالد الحسن كلمة مسهبة أوضح فيها كل ما أراد أن يوضحه، وكانت آنذاك قطيعة بين الفلسطينيين وشاه إيران، فما أن اختتم المؤتمر حتى كان هناك لقاء بين الوفد الفلسطيني وبين شاه إيران، وزاد رحمة الله عليه وقال : ليس لي كثير مما يمكن أن أعطيكم هنا، ولكن أنا في انتظاركم في طهران.

وفعلا بمجرد ما وصل إلى طهران التحق به الوفد بصحبة السيد أحمد ابن سودة وأعطاهم الشاه العطاء الجزيل وبقي يعطيهم إلى أن وقعت القطيعة بينه وبينهم لأنهم مالوا إلى المعارضة ضد الشاه في العراق مع الخميني.

ولم يكتف المغرب بهذا، بل وقعت مشاجرة — مازلت أذكر حرارتها ومرارتها — بيني وبين أخي وشقيقي العزيز جلالة الملك حسين عام 1974 خلال مؤتمر القمة العربي في الرباط بعد حرب أكتوبر وكنت أنا المدافع الأول وكان لقولي ولموقفي وزنه، لأنني كنت رئيس المؤتمر، وهناك اعترف بمنظمة التحرير بأنها هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، ومنذ ذلك الوقت وموقف المغرب هو هذا الموقف، وسيأتي زمان يمكن أن نعرف فيه بوثائق ووثائق تدل دلالة واضحة ومستمرة ودائمة على أن موقف المغرب بقي دائماً هو هو، وانه لو لم يكن المغرب متعلقاً بهذا التمثيل لمنظمة التحرير لحلت عدة مشاكل.



ويتساءل الجميع : لماذا هذا البلد آمن مطمئن ولله الحمد ؟ لأن مؤسساته لم تقم على السرقة، بل قامت على المشروعية منذ مولانا ادريس إلى يومنا هذا، من مشروعية إلى مشروعية، والكل في إطار المشروعية الاسلامية، البيعة والوفاء بالبيعة، والقيام بما تفرضه البيعة، والدفاع عن المقدسات وعن الحصون وعن الاسلام.

فمن الطبيعي إذن أن يكون كل مغربي مغربي، قد ورث بل رضع من ثدي أمه روح المشروعية، لهذا بقينا متشبثين وسنبقى متشبثين بها، وستبقى منظمة التحرير الفلسطينية بالنسبة لنا هي الممثل الوحيد والشرعي للشعب الفلسطيني، ولكن يجب أن أرد بالمثل، بما أنهم قبلوا أن يسمعوا من فم عبد العزيز المراكشي أن وجود المغرب في الصحراء هو مثل احتلال اسرائيل لفلسطين، سأجيبهم بآية من كتاب الله الحكيم، وسأقول لهم : طيب، فضلتم الوهم على الحقيقة والضلال على الصواب والانتهاز على الوفاء «اتستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير» اهبطوا تيندوف «فإن لكم ما سألتم».

اهبطوا تيندوف فإن لكم ما سألتم من الأوهام والأحلام، ولكن نحن المحافل الدولية سنبقى متشبثين بالتزاماتنا لا ممثل شرعي غير منظمة التحرير الفلسطينية هي وحدها وإن كان ما وقع منها لن ينفعها أبداً، لأن صفوفها ليست متراصلة وظنت انها بالمساومة على حساب المغرب ستضمن وحدة الصف الفلسطيني، وأخشى أن يكون العكس هو الصحيح. فلن تضمن بهذا وحدة الصف الفلسطيني وقد أضرت بوحدة الصف العربي.

فلهذا ــ شعبي العزيز ــ منذ اليوم أصدرنا أمرنا إلى جميع ممثلينا كانوا رسميين أو غير رسميين يمثلون الأحزاب السياسية أو الهيآت الأخرى إنهم إذا حضروا في محفل دولي وقام أي فلسطيني يتكلم عن فلسطين أن يغادروا مكان الاجتماع، ولكن كلما جاءت المناسبة ليدافع أي مغربي عن القضية الفلسطينية فمن واجبه أن يدافع عن الفلسطينيين والقضية الفلسطينية. ولكن إذا قام فلسطيني ليتكلم عن شؤون فلسطين فيجب على كل مغربي مغربي أن يغادر الجلسة.

وأقول، ولا أريد التهديد، ولكن أنا ضمير المغاربة، فإذا قام فلسطيني يتكلم عن فلسطين وبقي أي مغربي جالساً فإنه انتقاماً لروح شهدائنا الذين مثلوا بالصهاينة سيلطخ باب داره على الشكل القديم كما كان الناس يفعلون في الماضي، لأن هنا يجب الحسم بين السياسة والشرف، سندافع عن فلسطين حتى آخر رمق، وعن التمثيل الفلسطيني حتى آخر رمق، وعلى أن تبقى منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الوحيد والشرعي للشعب الفلسطيني حتى آخر رمق، ولكن أن نحضر نحن وفلسطيني يتكلم عن فلسطين سواء كنا حكوميين أم لا فهذا يستحيل. وأقول ولو اعتبر الناس هذا ديكتاتورية، فأنا في هذا الباب ديكتاتوري، فشرف المغرب يقتضي الديكتاتورية، لأن هؤلاء الناس عهدوا فينا نحن المغاربة الحلم واللياقة.

فو الله إذا حضر أحد من المغاربة سواء كان متحزباً أو نقابياً أو غير ذلك وعلم انه حضر في محفل دولي أو جهوي وممثل فلسطيني يتكلم عن حقوق فلسطين للطّخ باب داره دفاعا عن شرف أولئك الذين يستشهدون في الصحراء يومياً وشبهوا بالصهيونيين، وما عدا هذا سأبقى مع الفلسطينيين كما كنت وهذا أضعف الايمان، وهذا أضعف الغيرة على البلاد.

وأسفي هو أن الفلسطينيين لم يفهموا أنهم في حاجة إلى أصوات جميع العرب، ففي الوقت الذي دخلوا فيه دوامة المشاكل العربية ــ العربية خسروا قوة كبيرة بالنسبة لقضيتهم.

أما بالنسبة للمغرب : فماذا بينه وبين سوريا ؟ حافظ الأسد صديقي منذ قديم وأعرفه وعرفني، وأقدره

ويقدرني، وحينا يتكلم أحسب له حسابه، وحينا أتكلم يحسب لي حسابي، كذلك كل واحد منا يعرف أنه قادر على الآخر في إطار اللياقة واللباقة والاحترام. فما هو سبب الخصومة بيني وبينه يا ترى ؟ إنه تشبثي بمشروعية منظمة التحرير الفلسطينية، وسوريا دولة مهمة في العالم العربي، فهي دولة في المواجهة ودولة استشهد فيها عدد كبير من المغاربة، وهي ممر ضروري لكل عملية سلم في المنطقة، وخلافاً لما قيل وما قيل، ليس لقائي مع شيمون بيريز هو الذي جعل سوريا تتخذ الموقف الذي اتخذته، فمنذ سنوات والمغرب يقول : سوريا لها مشكل مع منظمة التحرير الفلسطينية، مع فصائلها مع كذا مع كذا، والمغرب لا يعرف إلا منظمة التحرير الفلسطينية، ولا يريد أن يدخل في هذه المشاكل التي هي مشاكل ربما هم في الشرق يعرفونها أكثر منا، فنحن أبعد الناس عنها.

إذن، كفى المغرب تضحية بالنسبة لمنظمة التحرير، ولكن بالنسبة للقضية الفلسطينية سنبقى على ما كنا عليه وسنبقى معترفين بمنظمة التحرير ممثلا وحيداً وشرعياً للشعب الفلسطيني، ولكن لن يحضر أي مغربي أي محفل سياسي أو ثقافي أو أي اجتماع للكتاب العرب أو للصيادلة العرب أو الأطباء العرب أو للاعبي كرة القدم العرب يخطب فيه فلسطيني، فإن بقي مغربي حاضرا وممثل منظمة التحرير الفلسطينية يتكلم فسنهجره هنا في المغرب حتى يتعلم الغيرة على بلده، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم «اقتلوا من لا غيرة له».

شعبي العزيز :

أعتقد شخصياً وأنا أتكلم اليوم في هذا الموضوع ان الحادث هو في الحقيقة هزيل وثقيل : هزيل لأن المتصرفين تصرفوا تصرف الصبيان، وثقيل لأن ظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند.

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يعطينا دائماً من التمييز ومن الرزانة ومن الحكمة ما يجعلنا من جهة نتحكم في عواطفنا ومن جهة أخرى ننظر إلى المستقبل السياسي للعالم العربي ولقضيته الأولى التي هي قضية فلسطين بالرزانة والثبات والحكمة، وهذا كله نطلبه من الله سبحانه وتعالى، إنه لا يخيب السائل ولا يضيع من يترجاه.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بمراكش

الثلاثاء 22 شعبان 1407 — 21 أبريل 1987